النسوية معادلاً مضاداً للحرية والسيادة، والمرأة الحرة لا تمارس الثقافة، سوى استثناءات يسيرة لا تشكل نسبة ذات اعتبار وكثيراً ما يحدث التكتم على اسم المرأة الحرة إذا ما صارت على قدر من الثقافة المحتكرة على الجواري مثل حال علية بنت المهدي[7].

فالجواري وحدهن المثقفات، وهن وحدهن من يحتاج الثقافة، ولذا فالثقافة لهن بضاعة وتجارة مثلما أن جسد الجارية بضاعة وتجارة. ومن شأن هذا النوع من الثقافة أن يكون مادة معروضة للفحص والامتحان والتقييم. إنها ـ إذن ـ ثقافة كشف وعرض.

ومن مسلّمات ذلك العصر أن جهل الحرة لا يضر وربما كان مطلوباً ومفضلاً، أما ثقافة الجارية فهي مطلب تجاري ملح.

الجهل للحرة، والثقافة للجارية. هذا هو ظرف الحكاية وشرطها الاجتماعي، ولذا استغلت المرأة هذه الرخصة الثقافية فعبّرت منها وعبّرت بها عن مكنونها الذاتي في أن تواجه الرجل وتقارعه. ولقد واجهته شهرزاد بالمجاز. أما تودد فتواجهه بالحقيقة، وتوسلت شهرزاد بأمومتها لثلاثة أبناء ذكور، أما تودد فاستعملت شخصية (الجارية) لتتوغل في نسويتها ولتحول ضعفها إلى قوة وتجعل من جسدها ومن ثقافتها قيمة معنوية ثقافية تحمي بها وجودها النوعي من الضياع والابتذال.

2 - 4 وكما أن الحكاية اتخذت شخصية الجارية قناعاً ترتديه وتورية تتوسل بها إلى توظيف فعلها المجازي فإنها ـ أيضاً ـ تتضمن مرافعة ثقافية من أجل تطهير التصور الاجتماعي عن (الجواري)، وهو تصور سلبي يجعل الجارية جسداً إمتاعياً خلق لإمتاع الرجال وصمم اجتماعياً من أجل هذه الغاية. وترسخت تقاليد الإمتاع والإتجار بهذه المتعة في

(7) عن علية بنت المهدي، انظر السيوطي: نزهة الجلساء في أشعار النساء 61.